بسم الله الرحمن الرحيم

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨))

صدق الله العظيم

(سورة طه من الآية ٢٥ الي الآية ٢٨)

اهداء

اهدى هذا الكتاب الى روح حماتى الطاهرة " ليلى ادريسى " .....

ألف رحمة ونور عليها واسكنها الله فسيح جناته .....

المؤلف

د/ أهداب محمد حسنى

تقديم

بقلم ا.د/ محمد الجهيني

أستاذ الآثار الإسلامية وعميد كلية الآثار جامعة جنوب الوادي

يعتبر فن التصوير الإسلامي بمدارسه المختلفة المدرسة العربية، والإيرانية، والهندية المغولية، والتركية العثمانية سجلا حافلا لإبداع الأمة، ورمزاً من رموز عبقريتها، وذاكرة حافظة لقيمها، ومقوما من مقومات هويتها الحضارية وخصوصيتها التي تتفرد بها بين الثقافات والحضارات. وهو من الميادين المهمة التي أقبل عليها المسلمون لتزيين الجدران أو لتحلية وتجميل المخطوطات الأدبية والعلمية والتاريخية بالصور التي توضح حوادثها وتشرح قصصها. وكذلك تصميم صفحاتها وأغلفتها وقد حفلت المخطوطات التي تتبع المدرسة العثمانية في تركيا ومصر بالكثير من التصاوير الآدمية التي كان لأغطية رؤوسها المختلفة السبب المباشر والجوهري في تصدي الدكتورة / أهداب محمد حسني لها بغية معرفة تكوينها ومادتها الخام ومسميات أجزائها وأسواقها وأسعارها وألوانها ومصطلحاتها وتأصيل أشكالها ،وقد بذلت في سبيل ذلك جهدا مضنيا فجمعت الكثير من التصاوير التي بها تلك العمائم ،وكذلك المخطوطات والمصادر والمراجع التي تذكرها،فضلا عن ترجمة المؤلفات والبحوث الأجنبية بالإضافة إلي الزيارات الميدانية للمتاحف ولدور الكتب والمخطوطات ،وهو ما ساهم بشكل مباشر في كشف ما اكتنف الموضوع من غموض ،وقد تناولت في هذا الكتاب من خلال مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب المادة التي يتضمنها متن هذا الكتاب حيث عرضت في المقدمة إلي أسباب دراستها لهذا الموضوع، ومصادره ومراجعه والمشكلات التي واجهتها وكيفية التغلب عليها وتناولت في التمهيد أصل الأتراك العثمانيين وموطنهم الأول وقيام هذه الدولة وجذورها للوصول إلي أصول العمامة العثمانية التي ما هي إلا خليط من العادات الموروثة من العلاقات و الاتفاقيات بين تركيا واسيا الوسطى وهي نتيجة للتأثيرات الشامانية والثقافة البيزنطية والعربية الإسلامية التي عاشت بين المجتمعات التي كانت موجودة في الأناضول وكذا التي

انتقلت إليها ،أما الباب الأول فقد أفردته للعمامة الملفوفة والذي اشتمل علي ثلاثة فصول اختص الأول بمسمياتها ومصطلحاتها وأنواعها والثاني بطائفة صناعها وأسمائهم والفصل الثالث تناولت فيه العمامة الملفوفة في تصاوير المخطوطات وعلي التحف التطبيقية،بدءا بالمدرسة العربية في بغداد ، ثم في المدرسة الإيرانية ، وفي سبيل ذلك قامت بوصف وتحليل الكثير من المناظر التصويرية وشخوصها ،محاولة منها لتوضيح المراحل التطورية التي مرت بها تلك العمامة من حيث القماش المستخدم في صناعتها وطريقة لفها وألوانها التي اختص بها بعض طبقات المجتمع في تركيا ومصر،أما الباب الثاني فقد اختص بالعمامة القاووق وقد تضمن ثلاثة فصول عرضت في الفصل الأول للقاووق وكيفية صناعته ومصطلحاته ، والفصل الثاني تناولت فيه أشكال القاووق وطرزه في ضوء تصاوير المخطوطات وأرباب الوظائف المختلفة وشواهد القبور ،أما الفصل الثالث فقد اختص بالدراسة التحليلية المقارنة بين هيئة القاووق وأشكاله في تركيا ومصر في ضوء ما توصلت إليه من تصاوير وشواهد قبور سجلت هيئات عديدة للقاووق ، فضلا عن تناول الأسواق التي تخصصت في بيعه وبائعيه ، وكم كانت المؤلفة موفقة في كتابة هذا الباب الذي ضم مسميات عديدة لهذه العمامة والمصطلح الخاص بكل مسمي وأرباب الوظائف التي اعتمرتها ،ونجحت نجاحا باهرا في التفريق بين كل نوع والفترة الزمنية التي شاع بها وهو ما يساهم بشكل كبير في تأريخ الكثير من التصاوير ،أما الباب الثالث والأخير فقد اختص بالعمامة الطربوش وقد قسمته أيضا إلي ثلاثة فصول الأول عن أماكن صناعته والثاني عن المادة الخام وأدوات الصناعة والثالث عن مسمياته وألوانه في المصادر والوثائق ،وهو أيضا جهد كبير أنهت به المؤلفة النوع الثالث من العمائم التي اعتمرها شخوص التصاوير في فترة متأخرة من عمر الدولة العثمانية بعد دراستها وصفا وتحليلا فضلا عن إشارتها لأرباب الوظائف التي اتخذت تلك العمامة وتميزت بها، وقد زودت المؤلفة الكتاب بعدد كبير من الأشكال التوضيحية واللوحات التي أثرت المتن ،ودللت دلالة واضحة علي مدي ما تتمتع به من مهارات بحثية ساهمت في تقديم دراسة علمية جديدة جادة ومبتكرة تخلو منها المكتبة العربية ،وأنا إذ أقدم هذا الكتاب للقارئ العربي المتخصص

أرجو أن يكون إضافة لما تضمه مكتبته العلمية من مراجع ،كما أرجو للقارئ العادي أن يكون منهلا لتزويده بما كان يجهله عن العمامة العثمانية.ولا يبقي في النهاية إلا أن اهنأ الدكتورة أهداب علي هذا السفر الهام في مجال الآثار الإسلامية عامة والتصوير الإسلامي خاصة ، املآ أن يكون الكتاب نقطة انطلاق لأبحاث أخري جادة.

والله الموفق

ا.د/ محمد الجهيني

عميد كلية الاثار جامعة جنوب الوادي

التمهيـــد

أصل الأتراك العثمانيين وموطنهم الأول:

العثمانيون قوم من الأتراك، ينتسبون - من وجهة النظر الأثنيّة[1] - إلى العرق الأصفر أو العرق المغولى، وهو العرق الذى ينتسب إلى المغول والصينيون وغيرهم من شعوب آسيا الشرقية وكان موطن الأتراك الأوّل فى آسيا الوسطى، فى البوادى الواقعة بين جبال آلطاي شرقًا وبحر قزوين فى الغرب، وقد انقسموا إلى عشائر وقبائل عديدة منها عشيرة "قايى[2]"، التى نزحت فى عهد زعيمها "كندز ألب" إلى المراعى الواقعة شماليّ

(١) الاثنية : هى مجموعة بشرية لها خاصيات مميزة تحددها الثقافة المشتركة والهوية، وهى تربط اعضائها مع بعضهم بعضا، عادة على أسس مشتركة. ولها اعتراف الآخرين كمجموعة متميزه لها أسس مشتركة ثقافيه ولغويه ودينية، أو سمات سلوكية أو بيولوجية، وحول الفرق بين مفهوم العرقية وبين مصطلح الأثنية، فإنه في اللغة العربية نقلت الكلمة الأجنبية Ethnos إلى اللغة العربية بترجمتين، حيث ترجمت حرفيا إلى " إثنية " ودلاليا إلى "عرقية "، ويقل استعمال مصطلح إثنية من طرف الباحثين العرب، عكس " العرقية " حتى أن أغلب القواميس العربية تترجم ethnicity إلى "عرقية" بدلا من إثنية .

- ابن فاضل فليب : قاموس المصطلحات القانونية (فرنسى عربى) ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ، لبنان ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٥٠

(٢) قايى: هى قبيلة من احدى قبائل الغز (الاويغور) التي كانت - هى وغيرها من القبائل التركية - تنزح على أزمنة متباعدة حينًا من مناطق شرق آسيا ووسطها؛ بحثًا عن المراعى الجيدة إلى غرب آسيا، نحو بلاد الأناضول، فى هجرة جماعية على شكل أُسَر أو أفخاذ، وربما قبائل، فإذا أمحلت مناطق الترك الأصلية في شرق آسيا ووسطها، اندفع قسم منهم إلى المناطق الخصبة غربًا، وقد ذكر بعض المؤرخين : إن قبيلة" قايى"تنتمى إلى المغول، فإن هذا الرأى كما يقول بارتولد قد جرح بالدِّراسات التركية الحديثة، وبالمعلومات التى أوردها المؤرخ اللغوى محمود الكشغرى، صاحب" ديوان لغات الترك"، الذى فرق بين قبيلة قايى التى ليست تركية خالصة، وبين قبيلة قايى أو قيخ الغزية، التى ينتمى إليها العثمانيون؛ بدليل أن الغز لم يحفظ فى تاريخهم أنهم كوَّنوا حكومة فى منغوليا الموطن الأصلي للمغول، ثم إن الملامح الجسمية المغولية تختلف اختلافًا بينًا عن الملامح الجسمية التركية، ولكن تعد قبيلة قايى من أهم
القبائل الغزية التركية، وقد هاجرت من الشرق إلى الغرب، وأرطغرل وابنه عثمان ينتميان إلى عشيرة صغيرة من هذه القبيلة، التى توزعت بُطُونها وعشائرها فى مناطق مهمة من وسط آسيا وغربها، وامتزجت بقبائل=

غربى أرمينيا قرب مدينة خلاط، عندما استولى المغول بقيادة جنكيز خان[١] على خراسان[٢]، قد يكتنفها الحياة السياسية المبكرة لهذه العشيرة الغموض، وهي أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق، وإن كل ما يعرف عنها هو استقرارها فى تلك المنطقة لفترة من الزمن[٣]، وتشير الكثير من المعلومات الي أن هذه العشيرة تركت منطقة خلاط حوالى سنة

=تركية أخرى؛ بل إن الأقسام التى وصلت إلى منطقة الأناضول توزعت فى مناطق مختلفة منها، ومن هنا يمكن القول بأن قبيلة قايي وفدت إلى الأناضول فى فترات مختلفة من العهد السلجوقى.

- عبد الرحمن بن على العرينى: قيام الدولة العثمانية والتحالف الصليبى ضدها، مجلة الدرعية، السنة الثالثة، العدد العاشر، ربيع الآخر ١٤٢١هـ/ ٢٠١٠م، الموقع متاح على :

- http://www.alukah.net/culture:, last visit ١-٩-٢٠١٣

(١) جنكيز خان: أو خاقان هو إمبراطور الدولة المنغولية والتى إعتبرت أضخم إمبراطورية فى التاريخ وكلمة جنكيز خان" تعنى: قاهر العالم، أو ملك ملوك العالم، أو القوى. حسب الترجمات المختلفة من اللغة المنغولية للعربية واسمه الأصلى "تيموجين". وكان رجلاً سفاكًا للدماء. وكان كذلك قائدًا عسكريًّا شديد البأس. وكانت له القدرة على تجميع الناس حوله. وبدأ في التوسع تدريجيًّا فى المناطق المحيطة به، وسرعان ما اتسعت مملكته حتى بلغت حدودها من كوريا شرقًا إلى حدود الدولة الخوارزمية الإسلامية غربًا، ومن سهول سيبريا شمالاً إلى بحر الصين جنوبًا.. أي أنها كانت تضم من دول العالم حاليًا: (الصين ومنغوليا وفيتنام وكوريا وتايلاند وأجزاء من سيبيريا. إلى جانب مملكة لاوس وميانمار ونيبال وبوتان!

فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٢

(٢) خراسان : تعنى بلاد الشمس المشرقة، وهى كلمة مركبة من خر بمعنى الشمس واسان كأنه اصل الشيء ومكانه.

انظر : ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت٦٢٦ه : معجم البلدان ، ج٢، دار صادر، بيروت، ص ٢١٨)، وهى تعد من اكبر أقاليم ايران ويشمل مساحة كبيرة في الشرق

- James (p) & Fraser (E) ; Historical and descriptive account of Persia from the earliestage to the present time , the Bradley company publishers , new york , ١٨٣٣, p:p١٩٢:١٩٤

(٣) محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية ، ترجمة د/ أحمد السعيد سليمان ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشْر ، ١٩٦٧، ص ص ١١٩ :١٢٢

٦٢٥هـ/ ١٢٢٩م تحت ضغط الأحداث العسكرية التى شهدتها المنطقة، بفعل الحروب التى أثارها السلطان جلال الدين الخوارزمى وامتدت إلى حوض نهر دجلة[١].

قيام الدولة العثمانية (٦٩٩-٥٨٥٣/١٢٩٩-١٤٥٣م) :

توفى سليمان شاه "كندز ألب" فى العام التالى لنزوح عشيرته إلى حوض دجلة، فترأس العشيرة ابنه سليمان، ثم حفيده" أرطغرل[٢]" الذى ارتحل مع عشيرته إلى مدينة أذربيجان[٣]،

(١) هو نهر يقع فى جنوب شرق الاناضول فى تركيا

(٢) يلقب دائما باسم الغازى وهو والد عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية وكان ارطغل قائدا للقاى، وعندما وصل أرطغرل بفرسانه ال ٤٠٠ لمساعدة السلاجقة الروم في حروبهم ضد البيزنطيين كان بذلك قد مهد لوضع الأساس للامبراطورية العثمانية. وفى عام ١٢٢٧م أصبح أرطغرل قائداً لجماعة القايى للأتراك الاغوز نتيجة مساعدته للسلاجقة الروم في حروبهم ضد البيزنطيين، تلقى ارطغرل أراضى فى منطقة جبلية بالقرب من أنغرة) الآن أنقرة (من سلطان السلاجقة الأتراك علاء الدين السلجوقى فقد منح أرطغرل هذه الأرض بمثابة هدية فى مقابل أن يخمد أرطغرل بقواته أي ثورة في المنطقة يقوم بها بقايا البيزنطيين أو أى جماعة أخرى، قام ارطغرل بعد ذلك بضم قرية سوغت التى غزاها عام ١٢٣١م. إلى الأراضى التى تحت سيطرته مكونتاً إقطاعية خاصة به. أصبحت هذه القرية سوغت عاصمة للإمبراطورية العثمانية عام ١٢٩٩م. تحت حكم عثمان الأول ابن ارطغرل، كان لارطغل ابنيين اخرين غير عثمان هما ساوجى وغندجوز

- ابراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمية فى تاريخ الدولة العلية، اعتنى بها نجوى عباس، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٤٧

(٣)آذربيجان: هى دولة ذات غالبية عرقية تركية ودينية شيعية ولقد حدد الجغرافيون العرب موقع أذربيجان وضبطوا اسمها، والنسبة إليها ويذكر ياقوت الحموى "ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم، والجيل والطَّرْم، وهو إقليم واسع. ومن مشهور مدائنها: تبريز، وهى اليوم قصبتها وأكبر مُدُنِها، وكانت قصبتها قديماً المَراغة، ومن مدنها خُوَىّ، وسَلمَاس، وأُرمية، وأرْدَبيل، ومَرَند، وغير ذلك. وهو صُقع جليل، ومملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال"ياقوت الحموى: المصدر السابق، ج١ ، ص ص ١٢٨-١٢٩ . وقد تعرضت آذربيجان للتجزئة جراء ما تعرضت له من مؤامرات خارجية، حيث قسمت حسبما أراد جيرانها الأقوياء، فيحدها من الشرق بحر قزوين، ومن الشمال جمهورية داغستان المستقلة استقلالاً إدارياً، ومن الشمال الغربى جمهورية جورجيا ، ومن الجنوب الغربى جمهورية أرمينيا، ومن الجنوب تركيا، وآذربيجان الإيرانية الذين يعدوا معظم سكانها من القبائل التركية الأصل واللغة .للمزيد انظر:

- شرين عبد النعيم : ايران ومدنها الشهيرة ، دراسة جغرافية تاريخية حضارية ، ج١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٩، ص٦٥

- محمود السيد الدغيم: آذربيجان بين الماضى والحاضر، مجلة البيان، ٢٦-٤-٢٠١٣ ، الموقع متاح على:
- http://www.dr-mahmoud.com, last visit ١٩-٨-٢٠١٣

وكانت مسرحا للقتال بين السلاجقة[١] والخوارزميين[٢]، فالتحق
بخدمة السلطان علاء الدين كيكوباد سلطان قونية[٣]، إحدى الإمارات السلجوقية

(١) سلطنة سلاجقة الروم : هم سلطنة للسلاجقة الأتراك وجدت فى القرون الوسطى فى الفترة مابين ١٠٧٧ إلى ١٣٠٧ وكانت عاصمتهم فى البداية إزنيق ثم انتقلت إلى قونية، وقد امتدت السلطنة فى أوجها عبر وسط الأناضول ،وقد صهرت معها العديد من القبائل التركية. وقد اشتق اسم الروم من اسم الإمبراطورية الرومانية، وقد دعى السلاجقة على أراضيهم اسم الروم لإنها اسست على أراضى اعتبرت لفترة طويلة بأنها رومانية (بيزنطية) وقد دعيت هذه الدولة أحياناً باسم سلطنة قونية أو سلطنة أيقونية حسب المصادر الغربية القديمة

-Alexander Kazhdan; "Rūm" The Oxford Dictionary of Byzantium (Oxford University Press, ١٩٩١), vol. ٣, p. ١٨١٦

(٢) الخوارزميون: هم سلالة تركية مسلمة سنية حكمت أجزاء كبرة من آسيا الوسطى وغرب إيران بين سنوات (١٢٢٠-١٠٧٧ كانوا اتباع إقطاعيين للسلاجقة ثم استقلوا وأصبحوا حكام مستقلين فى القرن ١١. وتمتعت الدولة باستقلالية كبرة. بدأ الخوارزميون بالتوسع فى خراسان، ثم دخلوا فى صراع منذ عام ١١٥٧ مع السلاجقة ضم إل أرسلان) ١١٧٢-١١٥٦(إليه كل المناطق الشرقية من دولة السلاجقة . استطاع علاء الدين تكش)١٢٠٠-١١٧٢(أن يخلف السلاجقة فى بلاد فارس عند استيلاءه على خراسان عام١١٨٧ ، ثم توسعه حتى إقليم الري عام .١١٩٢ أصبح بعدها حامي الخلافة العباسية الجديد.

- فؤاد عبد المعطى الصياد: المرجع السابق ، ص ٥٠

(٣) قونية: امتزج فى هذه المدينة الكثير من الحضارات والثقافات العربية والرومانية والعثمانية، وهى ذات أراضى خضراء منبسطة احتضنت جلال الدين الرومى رمز التسامح بين العرب والعجم، ولقد كانت ولا تزال من أهم واكبر المدن فى تركيا تحمل قونية الكائنة فى جنوب غربى تركيا تاريخاً عظيما تحكيه للأجيال الجديدة، فلقد كانت ولا تزال من أهم وابرز المدن فى تركيا ، سيطر عليها أهل ليديا فى القرن السادس ق.م، والفرس فى الرابع ق.م، والإسكندر وسلوكوس، ومملكة «برغاما» فى القرن الثانى ق.م، والروم عام ٣٩٥ ق.م، والساسانيون فى أوائل القرن السابع، والأمويون بقيادة معاوية بن أبى سفيان. ثم ظلت قونية من محافظات البيزنطيين حتى القرن العاشر ، ومع دخول العرب المسلمين لها بعدما فتح باب الأناضول للأتراك المسلمين، بنيت الدولة السلجوقية الأناضولية عام ١٠٧٤م، وكانت عاصمتها مدينة «إزينك» عام ١٠٩٧م، فى الحملات الصليبية، أصبحت قونية عاصمة السلاجقة حيث بلغت ذروة مجدها وامتلأت بالآثار المعمارية وأصبحت من أعمر المدن فى الأناضول. وقد حاصرها = الامبراطور الألمانى «فريدريك بربروسا» عام ١١٩٠م لكنه لم يظفر بها وظلت تحت سيطرة السلاجقة حتى تولى حكمها بنو قرامان، ثم آلت إلى الأتراك العثمانيين عام ١٤٦٧م.

-Mevlana guldestesi ; Konya Buyuk sehir Belediyes , Konya , ١٩٩٣ , p ٤٢

التى تأسست عقب انحلال دولة السلاجقة العظام [١] وسانده فى حروبه ضد الخوارزميين، فكافأه السلطان السلجوقى بأن أقطع عشيرته بعض الأراضى الخصبة قرب مدينة أنقرة[٢] وظل أرطغرل حليفًا للسلاجقة حتى أقطعه السلطان السلجوقى منطقة أخرى فى أقصى الشمال الغربى من الأناضول على الحدود البيزنطية، فى المنطقة المعروفة باسم "سوغوت" حول مدينة أسكى شهر[٣]، حيث بدأت العشيرة هناك حياة جديدة إلى

(١) دولة السلاجقة العظام: ينتسبون إلى قبيلة من قبائل الغز التركية كان يقودها زعيم يدعى سلجوق (القرن ٤ م). سكنت هذة القبيلة في تركستان وقد استقر الترحال بسلجوق في بخارى حيث اعتنق الإسلام على المذهب السنى. ثم انتشر الإسلام بين السلاجقة ومالوا كذلك إلى المذهب ذاته لذا أغاروا على الدول الشيعية فى بلاد فارس . وفى ١٠٣٧م تمكن طغرل (من احفاد سلجوق) من الإستيلاء على خراسان واستمر في التقدم حتى بغداد مقر الخلافة العباسية فاعترف به الخليفة القائم ومنحه لقب ملك الشرق والغرب. وقد ساند السلاجقة الخلافة العباسية فى بغداد، ونصروا المذهب السنِّى بعد أن أوشكت دولة الخلافة على الانهيار بين النفوذ البويهى الشيعى فى إيران والعراق، والنفوذ العبيدى (الفاطمى) في مصر والشام ، فقضى السلاجقة على النفوذ البويهى تمامًا وتصدوا للخلافة العبيدية الفاطمية ، فقد كان النفوذ البويهى الشيعى مسيطرًا على بغداد والخليفة العباسى.

للمزيد انظر: محمد عبد العظيم ابو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسى والعسكرى، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٣ ، ص- ص ٢٧-٣٨

(٢) انقرة : هى عاصمة تركيا وثانى أكبر مدنها بعد إسطنبول . تقع أنقرة على هضبة الاناضول بوسط تركيا يعود تاريخها إلى ماقبل ١٠٠٠ عام عندما سكنها الإنسان البدائى الأول، ثم حكمها الحاثيون، والحيثيون، والفريجيون، والليديون ثم الأخمينيون الفرس،ثم جاء بعد ذلك المقدونيون والكلدانيون وأخيرا استولى عليها الرومان، وبعد انقسام الامبراطورية الرومانية ظلت تحت حكم البيزنطيين حتى فتحها السلاجقة ثم سقطت في أيدي المغول إلى أن سيطر عليها العثمانيون في القرن الرابع عشر.

ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ : معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٨٤ ،

، ج ١ ، ص١٢٠

(٣) اسكى شهر: هى مدينة تقع فى الشمال الغربى لتركيا، تمتاز المدينة بمعالمأثرية تاريخية لجميع الإمبراطوريات والشعوب التى عاشت و ترعرعت فى المنطقة ككل منها : الدولة العثمانية، سلاجقة الروم، الإمبراطورية البيزنطية، وشعب فريجيا ... وجل الجغرافيين القدامى وصفوها بالمنطقة الخلابة في الأناضول.

- الحموى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص١٠٠

جانب إمارات تركمانية سبقتها إلى المنطقة[١].

علا شأن أرطغرل لدى السلطان بعد أن أثبت إخلاصه للسلاجقة، وأظهرت عشيرته كفاءة قتالية عالية فى كل معركة ووجدت دومًا فى مقدمة الجيوش وتمّ النصر على يدي أبنائها[٢]، فكافأه السلطان بأن خلع عليه لقب "أوج بكي"، أى محافظ الحدود، اعترافًا بعظم أمره[٣].

غير أن أرطغرل كان ذا أطماع سياسية بعيدة، فلم يقنع بهذه المنطقة التى أقطعه إياها السلطان السلجوقى، ولا باللقب الذى ظفر به، ولا بمهمة حراسة الحدود والحفاظ عليها؛ بل شرع يهاجم باسم السلطان ممتلكات البيزنطيين فى الأناضول [٤]فاستولى على مدينة أسكي شهر وضمها إلى أملاكه، واستطاع أن يوسع أراضيه خلال مدة نصف قرن قضاها كأمير على مقاطعة حدودية، وتوفى في سنة ١٢٨١م عن عمر يُناهز التسعين عامًا[٥]، بعد أن خُلع عليه لقب كبير آخر هو "غازى" تقديرًا لفتوحاته وغزواته[٦].

(١) محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ١٢٥

(٢) محمد فريد بك المحامى: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقى، دار النفائس، ط١٠ ، القاهرة ، ٢٠٠٦، ص١١٥

(٣) محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس للنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت، ٢٠٠٨ ، ص ٢٥

(٤) Stanford J. Shaw&Ezel Kural Shaw; History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Volume ١, Empire of the Gazis, Cambridge university press, new york , ١٩٧٧ , p١٣

(٥) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص ٢٦

(٦) Peter F. Sugar; Southeastern Europe under Ottoman rule,١٣٥٤-١٨٠٤, University of Washington Press, ١٩٧٧, p١٤r

وبعد ارطغرل تولى زعامة الامارة ابنه البكر عثمان[١] فأخلص الولاء للدولة السلجوقية على الرغم مما كانت تتخبط فيه من اضطراب وما كان يتهددها من اخطار[٢] أظهر عثمان فى بداية عهده براعة سياسية فى علاقاته مع جيرانه، فعقد تحالفات مع الإمارات التركمانية المجاورة، ووجه نشاطه العسكرى بفتح الأراضى البيزنطية كافة، وإدخالها ضمن الأراضى الإسلامية وشجعه على ذلك حالة الضعف التى دبت فى جسم الإمبراطورية البيزنطية وأجهزتها، وانهاكها بالحروب فى اروبا فأتاح له ذلك سهولة التوسع باتجاه غربى الأناضول، وفى عبور الدردنيل إلى أوروبا الشرقية الجنوبية. ومن الناحية الإدارية، فقد أظهر عثمان مقدرة فائقة فى وضع النظم الإدارية لإمارته، بحيث قطع العثمانيون فى عهده شوطًا كبيرًا على طريق التحول من نظام القبيلة المتنقلة إلى نظام الإدارة المستقرة، ما ساعدها على توطيد مركزها وتطورها سريعاً إلى دولة كبرى وقد أبدى السلطان السلجوقى علاء الدين كيقباد الثالث تقديره العميق لخدمات عثمان، فمنحه لقب" عثمان غازى حارس الحدود العالى الجاه، عثمان باشا[٣]."

أقدم عثمان بعد أن ثبّت فى إمارته على توسيع حدودها على حساب البيزنطيين، ففى عام١٢٩١م. فتح مدينة " قره جه حصار" الواقعة إلى الجنوب من سوغوت وجعلها قاعدة له، وأمر بإقامة الخطبة باسمه[٤]، وهو أول مظهر من مظاهر السيادة والسلطة، ومنها قاد عشيرته إلى بحر مرمرة والبحر الأسود[٥]، وحين تغلب المغول

(١) عثمان الاول : عثمان بن أرطغرل أو (عثمان الأول) بن سليمان شاه ٦٥٦هـ/١٢٥٨م/١٣٢٦ - م ، مؤسس الدولة العثمانية وأول سلاطينها ، شهدت سنة مولده غزوالمغول بقيادة هولاكو لبغداد تولى الحكم عام٦٨٧ هـ/ ١٣٢٤ - ١٢٩٩ م .

- إبراهيم بك حليم : المرجع السابق ، ص ٤٥

(٢) شفيق جحا، منير البعلبكي ، بهيج عثمان: المصور فى التاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ١١٦

(٣) محمد سهيل طقوش : المرجع السابق ، ص ٢٦

(٤) Stanford J. Shaw&Ezel Kural Shaw ;Op cit , pp١٣-١٤

(٥) شفيق جحا، منير البعلبكي ، بهيج عثمان: المرجع السابق ، ص ١١٦

على دولة قونية السلجوقية ، سارع عثمان إلى إعلان استقلاله عن السلاجقة ولقّب نفسه "باديشاه آل عثمان" أى عاهل آل عثمان[١]، فكان بذلك المؤسس الحقيقى لهذه الدولة التركية الكبرى التى نُسبت إليه لاحقًا وظل عثمان يحكم الدولة الجديدة بصفته سلطانًا مستقلاً حتى تاريخ أبريل ٦ سنة ١٣٢٦م، الموافق فيه ٢ جمادى الأولى سنة ٧٢٦هـ، عندما احتل ابنه "أورخان"[٢]

مدينة بورصة[٣] الواقعة على مقربة من بحر مرمرة، وفى هذه السنة توفى عثمان عن عمر يناهز السبعين عامًا بعد أن وضع أسس الدولة ومهد لها درب النمو والازدهار وخُلع عليه لقب آخر هو "قره عثمان"، وهو يعنى "عثمان الأسود، باللغة التركية الحديثة لكن يقصد به الشجاع أو الكبير او العظيم فى التركية العثمانية[٤] .

وبعد العرض السابق لجذور الأتراك وأصل العثمانيين نستطيع القول بأن ثقافة العمامة العثمانية ما هى إلا خليط من العادات الموروثة من العلاقات والاتفاقيات بين

---

(١) محمد فريد بك المحامى : المرجع السابق ، ص ١١٦

(٢) أورخان غازي بن عثمان بن أرطغل ثاني سلاطين الدولة العثمانية : توفى ٦٨٠هـ ٦ / فبراير ١٢٨١ م٧٦١ – هـ / مارس ١٣٦١ م، خلف والده عثمان بن أرطغل عام ٦٢٧ هـ/ - ١٣٢٤ ١٣٥٩ م، وعمره ستة وثلاثون عاماً ، وقد اعتمد على أعوان أقوياء لوضع القوانين وسن الأنظمة أبرزهم أخوه الأمير علاء الدين الذي نصبه وزيراً له ، وكذلك علاء الدين بن الحاج كمال الدين وقرة خليل جاندارلي وفي عهده نقلت عاصمة الدولة العثمانية من اسكي شهر إلى بورصة .

– عدنان العطار : الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط ، دار الأصالة ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٦ ، ص ص٢٣ -٢٤

(٣) بورصة: بروسة أو بورسة بالسين والصاد ، هى رابع أكبر مدن تركيا مركز وعاصمة محافظة بورصة . تقع شمال غرب البلاد بين مدينتى أسطنبول وأنقرة ، كانت بورصة عاصمة لولاية عثمانية بين ١٣٢٦ و ١٣٦٥. وفي فترة العثمانيين كان يطلق عليها (خداوندكار) وتعنى هدية الله، بينما أشهر ألقابها حاليا هو "Yeşil Bursa"وتعني "بورصة الخضراء" بسبب كثرة الحدائق العامة ، والمتنزهات الموجودة حولها، فضلا عن الغابات المتنوعة الشاسعة المنتشرة حول المنطقة.

– ياقوت الحموى :المصدر السابق ،ج١ ، ص ٤٣٤

(٤) محمد فريد بك المحامى : المرجع السابق ، ص ٢٧

تركيا وآسيا الوسطى وهى نتيجة للتأثيرات العربية الإسلامية والثقافة البيزنطية التى عاشت بين المجتمعات التى كانت موجودة فى الأناضول، وليس هناك شك أنه على مر مئات السنين شكلت العديد من العوامل هذه الثقافة(١)، ومما هو جدير بالذكر أن أول مثال ملموس لأغطية الرأس التركية القديمة يرجع إلى عام ٧٣٢ ق. م من خلال رأس حجرية يسمى قول تيجين Kul Tigin على رأسه هيئة عبارة عن شكل دائرى وفق مقاس الرأس ومرتفع لأعلى على هيئة تشبه البورك، محفوظ بمتحف الهرميتاج بروسيا الذى ضم العديد من أغطية الرأس، التى تم جمعها من خلال حفريات مقابر تركيا وسط اسيا.

لوحة(١)(٢)، وتبع هذا الغطاء المخصص للرأس مصادر مكتوبة فمثلا الكتاب الذي يحمل عنوان Divanu Lugati t – Turk للمؤلف محمود الكشغرى الذى ذكر أن غطاء الرأس التركى كان يسمى Börk وغيره من المسميات مثل Tolga أو(٣)Toğulga، ويؤكد ذلك ما اثبته المؤلف ايميل اسين عن تنوع أغطية الرأس فى تركيا والتى تعود إلى ٣٠٠٠ سنة ق.م فى منطقة الشرق الأوسط، والتى كانت تسمى بورك حيث اعتمد على ١٤٣ مصدر ورسومات تزيد عن ١٢٠ شكلا فى كتابه الذى يحمل عنوانا باسمBedük Börk . لوحة (٢)(٤)، مما يشير الى أن الأتراك منذ فترة طويلة كان لديهم أهتمام كبير بأغطية الرأس؛ وربما يرجع السبب في ذلك إلى أنهم كان لديهم انثربولوجيا(٥) وصفية خاصة فيما يتعلق بأغطية الرأس التى يمكن إرجاعها إلى

(١) İşli (H. Necdet); Ottoman Headgears, Eropean Capital Of Kültür Başkenti Yayınları Istanbul, ٢٠١٠,p٥٩ ,

(٢) Ibid ; p ١٣ , pl ١

(٣) Kaşgarli Mahmûd ; Divan I lugat it Türk , çeviren Besim Atalay, Ankara TDK, ١٩٣٩,p٤٣٤

(٤)İşli (H. Necdet) ; Op Cit , pp ١٤-١٥ , pl ٢a , ٢b. ٢c

(٥) أنثروبولوجيا : هي علمُ الإنسان وقد انقسمت الكلمة من كلمتين يونانيتين هما anthropos ومعناها "الإنسان" و logos ومعناها "علم". وعليه فإن المعنى اللفظي لإصطلاح الأنثروبولوجيا =

متطلباتهم واحتياجاتهم فى الإنتماء وتوحيد المظهر والوقاية من البرودة والحرارة، وحب التملك، والتقليد، والتزيين، والاحتشام التى كانت تتغير حسب الوقت والمكان[١].

واستمر مسمى بورك ومسمى سربوش بأشكاله العديدة فى التاريخ التركى حتى بعد انتشار الدين الإسلامى عند الأتراك، الذى أدخل العديد من المسميات والهيئات الأخرى، وقد كان سلاجقة الاناضول والتى تأسست دولتهم عام ٤٧٠ – ٧٠٨هـ/ ١٠٧٧ -١٣٠٨م.

بمدينة قونية ذات الأراضى الخضراء المنبسطة التى احتضنت وتأثرت بروح وفلسفة وأفكار الشيخ الصوفى جلال الدين الرومى رمز التسامح بين العرب والعجم والذى أدى بطبيعة الحال إلى أن تكون معقلا للشيوخ الصوفية الذين كان لهم مسميات لأغطية رؤوسهم خاصة بهم التى يتم تناولها بالتفصيل لاحقا فعلى سبيل المثال فقد اهدي السلطان علاء الدين كيكاباد غطاء الرأس المسمى الكولاه من خلال الشيخ شهاب الدين السهرودى الصوفى البغدادى[٢] الذى اعتمره أمام ممثلى السلطات العليا

=(anthropology)هو علمُ الإنسان. وتعُرّف الأنثروبولوجيا تعريفاتٌ عدة أشهرها علم الانسان أعماله وسلوكه ، وأنه كائن حضارى إجتماعى .

– حسين فهيم : قصة الانثروبولوجيا – فصول فى تاريخ علم الانسان- ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٦ ، ص ص١٤-١٥

(١) علية احمد عابدين: دراسات فى سيكولوجية الملابس ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ص ص ٨٨- ٨٩

– ايهاب فاضل ابوموسى : التثقيف والتذوق الملبسى ، دار الزهراء ، الرياض ، ط٢ ، ٢٠٠٧ ، ص ٠ ص ١٤٤: ١٥٢

- İşli (H. Necdet); Op , Cit , p١٣

(٢) شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السنى في القرن السابع الهجري، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية وصفه الذهبى بـ «الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوحد الصوفية« توفي شهاب الدين في بغداد في أول ليلة من سنة ٦٣٢ه، ودفن فيها، وبني على قبره منارة .

عبدالله بن صالح البرّاك: الإمام السُهْرَوردي (عمر بن محمد م سنة ٦٣٢هـ) وآراؤه الاعتقادية مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا ، كلية دار العلوم٢٠٠٦م ، ص ١٠

الهامة فى ذلك الوقت، بالإضافة إلى ظهور الطوائف الدينية الصوفية الأخرى مثل البكتاشية وغيرها[١].

ويرى المؤلف والباحث التركى Necdet أن هناك غطاء رأس خاص بسلاجقة الأناضول وجدناه في القرن ٩ه/ ١٥م.

يسمى الكيكوبادى وهو عبارة عن طاقية أو عرقية لاطئة على الرأس ملفوف حولها شاش أبيض وهى تسمى بالتركية تولبند، واذا انسدل منها طرف من خلفها فيتكون شكل العمامة التى تسمى بالتركية دستار كاكل ذات الذوؤابة أو العذبة والتى تسمى بالتركية Cepheye Kakül ، وخير الأمثلة على هذه الهيئة موجودة أعلى قمة تابوت حجرى بداخل المقبرة المرادية فى بورصة. لوحة (٣)[٢].

كما ظهر أيضا فى ذلك العصر عمامة (دستار) من القماش الأبيض التولبند مبروم بشكل بارز حول بعضها وقد أطلق عليه دستار دولامة طبقا لهيئته التى وجدت منفذة ملفوفة حول طاقية وذلك أعلى قمة شاهد قبر السلطان علاء الدين بمدينة قونية. لوحة (٤)[٣].

---

(١) ومن الجدير بالذكر أن لكل طائفة دينية عمامة خاصة بها، وعندما تصف عمامة لابد أن تذكر اسم الطائفة أولا :مثل عمامة طائفة البكتاشية (Bektasi) ومن الضروري أن نذكر أسم الطائفة tac name واحدة تلو الأخرى لتعددهم وكثرتهم فهم يزيدوا عن ١٨٠ اسما دينيا طائفيا ، فمثلا الطريقة الخلوتية (Halveti) لها ما يزيد عن ٤٠ طائفة والطريقة الشعبانية اعتمموا عمامة مشابهة لعمامة طائفة الخلوتية. ولقد قبلت اثنى عشر طريقة اعتمام كل أنواع العمائم المشابهة مثل الطريقة القادرية، والدسوقية، والبراهيمية، والرفاعية، والشاذليه، والنقشبندية، والشعبانية وغيره، ماعدا الطريقة المولوية التي لبست Sikke وهى العمامة الطويلة المخروطية الشكل والطريقة البكتاشية التي لبست عمامة فخيرى= =(Fahiri) وهذا الموضوع سوف افرد له دراسة مستقلة تتناول تلك الطرق ودلالات اغطية رؤوسها

- Gölpınarl , Abdülbaki; Melamilik Ve Melamiler, Milenyum Yayınları, Istanbul, ١٩٩٢ , pp ٣٢١-٣٢٢

ج

(٢) İşli (H. Necdet) ;Op . Cit , p٢٤ , p l٩

(٣) Ibid , p٢١ , pl ٦

ثم قامت الدولة العثمانية التى استمدت وتأثرت بكل هذه الهيئات ومسميات أغطية الرأس مما ترتب على ذلك إلى عدم اجبار مواطنيها (الروم- الكردستانيين- الصربيين- الأرمنيين- العرب- اليهود- البوسنيين- الألبانيين- التتار- ألبوماك- الشراكسة)[١]، على تغيير عمائمهم وخير الأمثلة على ذلك: ان مجتمع الروم كانوا يعتمرون العمامة السوداء لتغطية رؤوسهم وخصوصا عندما كانوا متواجدون فى الكنائس أو الجنائز وهذا كان منتشر فى اسطنبول كما قبلوا كل أنواع العمائم لكونها تقليداً إسلامياً من تقاليد سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم "؛ لذا صار كل الأتراك الذين لهم نفس العقيدة على نفس التقليد، وأنه فى حالة أن يقوم شريف من نسل الرسول بذنب فإن عقوبته هى خلع عمامته الخضراء من على رأسه وتقبيلها واعادتها إلى صاحبها وهذا التقليد عندهم رمزاً للاحترام والرفعة والسمو[٢].

لقد استطاع السلاطين العثمانيين باعتبارهم شخصيات قيادية عليا، التأثير في كل أجزاء الامبراطورية الذى ينال الحماية واتباع تدرج الهيكل الوظيفى والتمسك بالعادات والتقاليد والأعراف والمعتقدات الدينية التي كانت لها غاية الأهمية في وضع قوانين منظمة للملابس بشكل عام ولأغطية الرأس بشكل خاص حيث نال غطاء الرأس السلطانى أكبر الاهتمام والتقدير والإحترام ووضعوا كل هذه القوانين في كتاب قانون نامه Kanun Namee ، حيث أن قوانين اللباس الرسمية كانت غاية فى التعقيد وخاصة في كثرة الوظائف الموجودة فى ذلك العصر، بالرغم من أن هذه القوانين كانت على غرار القوانين التى كانت موجودة ومستعملة عند معاصرين فى العديد من المناطق العالمية، مما يؤكد أن هذه الدراسة لها أبعاد سياسية ومعتقدات دينية في أن الدولة العثمانية مسيطرة ومهيمنة على موظفيها ورعاياها، مماعكس مدى قوة

(١) سمح العثمانيون لليهود والمسيحيين أن يمارسوا شعائرهم الدينية بحرية تحت حماية الدولة، وفقًا لما تنص عليه الشريعة الإسلامية وبهذا فإن أهل الكتاب من غير المسلمين كانوا يعتبرون رعايا عثمانيين لكن دون أن يُطبق عليهم قانون الدولة.

(٢)Uzunçarşili, İsmail Hakki; Osmanli Devleti'nin İlmiye teşkilatl, Ankara, ttk, ١٩٦٥,p٤٣٤

الدولة فأصبح اللباس بشكل عام وبالأخص أغطية الرؤوس علامة واضحة وبارزة؛ لتدرجات الرتب الرسمية والتدرج الطبقى الاجتماعى، كما أصبحت من أهم الأشياء التى يكافىء بها السلطان أو الحاكم العثمانى.

كما أفادت قوانين اللباس إلي وجود قواعد معينة لاغطية الرأس فى إعطاء الوضع الشرعى أو المنزلة الرفيعة والإحساس بالهوية والتفرقة بين أهل الذمة والمسلمين والشيوخ وأصحاب الطرق الصوفية المختلفة والحرفيين أو المهنيين المتصلين بالمجتمع العثماني حتى يكون لهما امتيازات دينية واجتماعية، كما حددت من يعتمر كل هذه الهيئات من الحاكم والرجال والنساء وغيره من طبقات المجتمع المختلفة، مما ساعد على التعرف على انطباع الاخرين من ناحية الفرد الاجتماعى، ومهنته ودوره[1]، مع بيان حالته الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك السياسية وبهذا تعطى انطباعا كاملا تقريبا عن كينونة تلك الشخصية[2] كما جعل لكل مناسبة على حسب أهميتها غطاء رأس خاص بها فاعتمار العلماء ورجال الدين غطاء رأس خاص بهم، بينما حراس وخدم وموظفو القصر السلطانى وفرقة الإنكشارية غطاء رأس مختلف خاص بهم، بينما تعتمر أصناف عادية من الطبقة الإجتماعية العثمانية هيئات بسيطة من العمامة كل على حسب طبقته الإجتماعية، مما أوضح الوضع الإجتماعى والإقتصادى لديهم وتمييز أنفسهم عن بعضهم البعض؛ وللإشارة إلى تعريف طائفتهم الاجتماعية[3]، مما كان دليلاً واضحاً ومباشراً للقوى الاجتماعية [4]، ثم حدت الكثير من التغيرات بين تأسيس الامبرطورية وعهد السلطان سليمان القانونى

(٩٢٦-٩٧٤ه/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) اذ شهد هذا العهد نقلة إجتماعية وحضارية، ثم تغيرت قوانين اللباس في نهاية القرن السابع عشر (١٦٨٣-١٨٠٨م)، حيث أعلنت قوانين لباس جديدة ، وكان ذلك نتيجة إلى دخول العديد من الثقافات الأوربية والأسيوية والإنجليزية والفرنسية، مما حدث رواج فكرى وإقتصادى وإجتماعى

(١) علية احمد عابدين: المرجع السابق ، ص ٣٧

(٢) ايهاب فاضل ابو موسى: المرجع السابق ، ص ٤٨

(٣) علية أحمد عابدين : المرجع السابق ، ص ٩٨، ص ١٠٧

(٤) المرجع نفسه : ص ٣٨

وسميت هذه الفترة بالزنبق (زهرة اللالا)[1] ، مما أدى إلى تغيير شكل المجتمع والإقتصاد والقوى السياسية الحاكمة، كما دخلت مجموعات جديدة تجارية عثمانية، نتيجة الى انفتاح الدولة على العالم الشرقى والهندى والإيرانى، مما سمح بوجود العديد من التجار الذين كانوا متصلين مع الجاليات اليونانية والأرمنية، والتى استطاعت بطبيعة الحال أن تخدم القصر العثمانى فى استانبول من حيث: جلب اللباس ومستلزمات الإحتفالات، مما ترتب عليه خلق سوقا واسعاً للباس بشكل عام، وبالأخص أغطية الرؤوس ومستلزماتها مثل هيئات العمائم المختلفة والقنزعات والشرابيات وأشكال الصرغوج المختلفة، وهذا كان مسجلا داخل مخطوط سورنامة وهبى. لوحات (١٥٨، ٢٠٦) .

وقد حدد المرسوم التفاصيل الدقيقة والمقاييس والأنواع الاقمشة المستعملة والمستخدمة فى اللباس عامة ولباس الرأس بشكل خاص وكانت قوانين غير متواضعة، أما قوانين اللباس فى عهد السلطان عثمان الثالث(١١٦٨-١١٧١ه/ ١٧٥٤-١٧٥٧م) ومصطفى الثالث ١١٧١-١١٨٧ه/ ١٧٥٧-١٧٧٤م) وكان عهديهما في وقت انتشر فيه الضعف السياسى الداخلى وبدأت الإضطرابات الخارجية، مما ترتب بعدم حدوث تغيير فى أغطية الرأس ويؤكد ذلك أن السلطان عثمان الثالث

(١) تألق الفن التركي بتراثه العريق في عهد السلطان التركي الشاب مراد الثالث الذي عـرف عصرـه بعصرـ الزنبق، أي المزدهر بشتى أنواع الفنون، كالزهور المتنوعة في البستان،لم يعد التصوير يأخـذ حيـزا واسـعا مـن إهتمام المصورين في هذا العصر، لأن الموضوعات القومية شغلت بال المصورين وسلاطينهم التي رعتها ببذخ بالغ بالأموال واستقدام الفنانين من دول خارجية «إيطاليا، هولندا، النمسا، فرنسا» مما أضفى على التصـاوير العثمانية نكهة مختلفة إن كان من ناحية الألوان أو واقعية تجسيد الأشخاص، =وأثر أسلوب الباروك الإيطـالي على الكثير من المنمنمات التركية، إضافة إلى ولادة التصوير التركـي مـن التصـوير الفـارسى والصـوفي الـذي رشف من ينبوعه كل الطرز والأساليب فجمع كل هـذا الـتمازج بـين الفـارسي والتركـي والأوروبي متخـذا حداثة وجمالية فن الباروك ليستخلصه بفن واحد هوالفن الباروكى التركى.

– آمال عربيد : من عصر التوثيق... إلى عصر الزنبق والباروك منمنمات عثمانية، مجلة الكويت ، العدد ٣٦٣ ، ٢٠١٠ ، الموقع متاح على :

- http://www.kuwaitmag.com

عندما اعتلى عرشه عن سن يناهز ٥٦ سنة كان يراقب شوارع اسطنبول متنكراً فلاحظ ملابس النساء والرجال غير متلائم مع طبقاتهم الإجتماعية أو رتبتهم الوظيفية.

وكان وريثه السلطان مصطفى الثالث الذى بدأ عهد الانطلاق في لباس الرأس، ثم جاء أحمد الثالث ابن السلطان مصطفى الذى وجه إلى قوانين اللباس بفضل حكمه القوى فهذا السلطان أرسل شخص يذيع على الناس فى وسط العاصمة إعلان التعليمات الجديدة للباس، وبالأخص الأرمن واليونايين والدراويش وأهل الذمة مثل اليهود والمسحيين، وإعادة تنظيم لباس الفراء الذى كان مقصوراً على الطبقة الغنية فقط بالإضافة إلى أنه جعل اللباس الذى يخص رأس النساء أكثر ارتفاعاً وضخامة، وهذه القوانين التي كانت فى عصر هؤلاء السلاطين أثرت ورسخت عرشهم وأصبح الحكم أكثر فى قبضتهم ، ثم سعى السلطان سليم الثالث للإبقاء على الانضباط الاجتماعى بطلب اللباس البسيط، دون التبذير فيه، وبالأخص الزوجات الذين يفلسن ازواجهن والذى أدى إلى الفساد والرشوة، وركز على التجار الذين كانوا يشترون سلع أجنبية، ويتغافلون عن الانتاج المحلى، وقد كانت هذه المشكلة ظاهرة عامة في بداية تأسيس الدولة العثمانية، ثم ظهرت بقوة في عهد هذا السلطان؛ لذا نجد انه اعتمر أغطية رأسه وملابسه من صنع اسطنبول وأنقرة وأرغم حراسه وخدمه على زي مصنوع من الانتاج المحلى.

وبالرغم من ذلك كان الرجال العثمانيون المتواجدون في المدينة يرتدون لباسا مصنوعا صناعة هندية وايرانية، متغافلين الزي المحلي الامر الذي واجهته قوانين اللباس بشكل عام نظرا لأبعاده الاقتصادية، مما جعل السطان سليم الثالث يقوم بتوجيه دعوة تحث علي التعاون والدعم بين الصناع والنقابات العثمانية التى كانت فى ذلك الوقت يعمها الفساد والفوضى نيجة لما كانوا يعانونه من فرض الضرائب؛ التي وجهت لتمويل الحروب الفاشلة فى أواخر القرن ١٢ه-١٨م بديلا عن دعم الصناع وتمويلهم، رغم وجود من شجع الدعم الشعبى الواسع ، ثم حدثت ثورة اللباس فى أوائل القرن١٣ه- ١٩م ،وقد استطاع السلطان محمود الثانى ٤ جمادى الآخرة ١٢٢٣هـ/ ٢٨ يوليو ١٨٠٨م/ ١٨ربيع الآخر ١٢٥٥هـ/ ١ يوليو ١٨٣٩م) أن يسن

قوانين جديدة للباس حتى يخلق حكم ملكى قوى وبدأت هذه الخطوة عام ١٨٢٦-١٨٢٧م ، مما ترتب عليه تغير فى غطاء الرأس الذى كان عبارة عن طرابيش، وبالتالى لم يقلد هذا السلطان اسلافه فى اللباس فى الممارسات القديمة؛ لتمييز كل مجموعة عندما وضع الطرابيش المماثلة على رأس كل المسئولين إلا الوزراء الذى سمح لهم بارتداء غطاء رأس له ملامح مميزة.

ويعد هذا نوع جديد من السيطرة السلطانية، حيث كان كل المسئولين متساوين في مظهرهم؛ ولتعزيز عرشه خلق مجموعة من الأوسمة والميداليات كوسائل تمنح عند الترقي أو التدرج الوظيفى، وقد اضفى هذا التغير سمة رائعة وهى إعادة هيكلة الامبراطورية العثمانية بشكل رمزى ولم يعد دينى فى امتيازاته؛ لذلك تشابهت اغطية الرؤوس مع بعضها البعض التى كانت فى القرون السابقة، والتى كانت كل الامتيازات والسيادة للموظفين العسكريين والبيروقراطيين كما استخدمت للتفرقة مابين المسلمين وأهل الذمة.

ومن خلال تغيير لباس الرأس عام ١٨٢٩ ازيلت كل هذه القوانين بين المسلمين وغير المسلمين، مما ساعد علي وجود فئة جديدة بدون علامات مميزة الامر الذي جعل كل المجتمع متوحدا لمدة طويلة يتساوي فيه الجميع مع السلطان، وهذا التشابه المظهرى كان دليلاً على الديموقراطية.

كما أوجدت هذه القوانين الجديدة رد فعل حسن عند المسلمين وغير المسلمين، مما أدى إلى إنشاء دولة عثمانية مدنية جديدة، وبالمقارنة مع هذا القبول المتلهف بالطبقات الإجتماعية المختلفة، رفض عمال وأصحاب الحرف المتعصبين دينيا ارتداء ذلك الطربوش البسيط، الذى يخفى انتسابهم الدينى حيث كان البعض منهم يعتنق المذهب الصوفى، كما كانوا يرفضون سياسة السلطان محمود الثانى المختلفة عن اسلافه، لذا طلبوا من السلطان أن يكون لهم غطاء رأس مميز ، ولكن فيما بعد انتشر اعتمار الطرابيش بينهم وذلك من خلال لف عصبة من القماش حوله.

كما عدلت قوانين الجيش من خلال غطاء الرأس فاعتمروا الطرابيش، بينما كان رجال الجيش الذين يخدمون غربى البحر المتوسط أمروا بلف قماش ملفوف حول

الطربوش حتى يميز بين المدنى في الجيش وقوات الجيش البحرية، وقد سنت هذه القوانين في سنة١٢٤٥ه/ ١٨٢٩م. التى كانت بداية الانهيار لفرقة الانكشارية، كما أصبحت هذه القوانين تعكس الرؤية الواضحة للديموقراطية والمجموعة الاقتصادية أثناء القرن ١٢ه/ ١٨م، وبالتالى أصبح الطربوش الزى الموحد للرأس، مما خلق مجتمعا جديدا غير طبقى وديموقراطى(١).

وترتب على ذلك معرفة مدى أهمية أغطية الرأس العثمانية، وبالأخص التى كانت بالعاصمة اسطنبول(٢)، وبالتالى كانت مرآة لأغطية الرؤوس المتنوعة، مما أدى بطبيعة الحال إلى وجود مسميات شوارع وأسماء بوابات متفرعة من أهم وأكبر البازارت " الأسواق " المعروفة خلال العصر العثماني ومنها البازار الكبير كابليشارشىKapaliçarşi المتفرع منه أهم ثلاث بوابات من أصل ثمانية عشر بوابة، وهم كالآتى:بوابةالقالباقشلرباشىKalpakÇilarbasi،وبوابة طربوشلرTerpuşcular، وبوابة الفيزلرFesçiler،كما يوجد حول هذا البازار العظيم أسماء أماكن متعلقة بأغطية الرأس مثل:فيزلرFeraceilers Fesçiler ،

(١) Quataert (Donald); Clothing Lows State & Society in Ottoman Empire ١٧٢٠-١٨٢٩, International Journal of middle east studies, Cambridge uni press, vol ٢٩, No ٣, ١٩٩٧ , p:p٤٠٣ :٤٢٥

(٢) اسطنبول بالتركية الحديثة İstanbul وبالتركية العثمانية استانبولو المعروفة باسم بيزنطة والقُسْطَنْطِيْنِيَّة والأسِتانة وإسلامبول وهى أكبر المدن فى تركيا تقع إسطنبول على مضيق البوسفوروتمتدالمدينة على طول الجانب الأوروبي من مضيق البوسفور، المعروف باسم" تراقيا"، والجانب الآسيوي أو" الأناضول"، وبالتالي فإنها المدينة الوحيدة في العالم التى تقع على قارتين كانت هذه المدينة عاصمةً لعدد من الدول والإمبراطوريات عبر تاريخها الطويل، فكانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية ، والبيزنطية واللاتينية، والعثمانية، وفي معظم هذه المراحل، أحيطت المدينة بهالة من القداسة، إذ كان لها أهمية دينية كبيرة عند سكانها وسكان الدول المجاورة، فكانت مدينة مهمة للمسيحيين بعد أن اعتنقت الإمبراطورية البيزنطية الدين المسيحي، قبل أن تتحول لتصبح عاصمة للخلافة الاسلامية حتى انحلال الدولة العثمانية عام ١٩٢٤

- الحموى : المصدر السابق ، مج ١ ، ٣٢١

وطاقجلر Takkeciler، وطوغلرTuğcular، قالباقلر kulpakcilar، وسربوشلرserpúscular أما عن الشوارع والميادين الأثرية التى تحمل عناوين متعلقة بأغطية الرأس بلغ عددها ثلاثون شارعا ومن أهمهم:

ميدان آكسراى Aksarikli Alley ، ميدان دال فيزDalfez Alley ، وميدان عرقجى Arakiyeci Alley ، وشارع فيزخانه Feshane Street ، وميدان فيزجى Fesçi Alley، وميدان اشكيرلكIşkirlak Alley ، وميدان قلاوى Kallavi Alley ، وميدان قالباقجى حسن Kalpakçi Hasan Alley ، ميدان قالباجى Kalpakçi Alley ، ميدان قاووقلو حميدى Kavuklu Hamdi Alley، ميدان قاووقجو حسن Kavukçu Hasan Alley ، ميدان قوقا Kuka Alley ، ميدان صارقجى Sarikci Alley ، ميدان طاقجى Takkeci Alley ، وميدان طيلسان Taylasan Alley ، وميدان طولغو Tolga Alley ، وميدان اسكوفجى ÜskÜfÇÜ Alley[1]

كما كانت أغطية الرأس العثمانية لها أهمية بالغة عند الكتاب والمؤلفين لذا عنى الكثير منهم بدراسة مثل تلك الموضوعات، ولكن كانت دراستهم محصورة وغير موثقة أحيانا بصور، واغفل البعض الآخر منهم شرح رسوماتهم ومعلوماتهم بطريقة وافية تبرز تنوعها وأسلوب صناعتها وزخرفتها ومن هؤلاء :

مستقيم زاد سعيد سلمان سعد الدين أفندي (Mŏstakimzĭde Seyyid Sŏlyman Saadeddĭn Efendi): المتوفي عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م، والذى عمل كاتبا للطرق الصوفية ومدرسا بها "Tâc-nâme " ، وزيا بيه "ziya Bey" (من مدرسة الفن الجميل في ذلك الوقت): ت عام ١٣١٥ هـ حيث نشر دراسات تضمنت رسومات ومعلومات وصفية عن أربعين طريقة دينية صوفية ويعد صاحب أول وأوحد مخطوط يتضمن أربعين غطاء رأس مميز لكل طريقة دينية صوفية. لوحة (٦)[2]، والباحث عزت قمبراجى Īzzet kumbaracilar : ت عام ١٩٣٧م ،

(١) Nuri,O. Ergin; İstanbul Belediyesi Şehir Rehberi, İstanbul ,١٩٣٤,p٤٣

(٢) İşli (H. Necdet) ; Op cit p ٢٧ , pl ١٢

صاحب كتاب سربوشلر : Serpûşlar ، الذى حاول المزج بين الملابس وأغطية الرأس في قصر طوبقابى Topkapi ، ونشر هذا الكتاب بعد موته من خلال ابنه د/ سادات قمبرجلر Sedat kumbaracilar ، عام ١٩٧٩ م، حيث أضاف إليه بعض التعديلات ولكن بدون مستندات أو صور مستخدمة تتخلل الكتاب؛ لذا لابد أن يقرأ الكتاب بإنتباه وحذر.

لوحة(٧)[١]،وكمال الدين روناقوجلو

Cemaleddin server Revnakoğlu: المتوفي عام١٣٨٨ه- ١٩٦٨م ، والذي قام برسم نماذج لأغطية الرأس الموجودة أعلى قمم شواهد القبور[٢]، وإسماعيل فازلIsmail Fazil Ayanoğlu : ت عام١٣٩٥ه- ١٩٧٥م، قام برسم خمسة نماذج فقط لأغطية الرأس[٣]، وعبد الباقى جلبنارلى Abdülbaki Gölpinarli: ت عام١٤٠٣ه- ١٩٨٢م. رسم عشر نماذج لأغطية الرأس للطريقة المولوية[٤]، البروفسيرسهيل أنور A.süheyl ünver : ت عام ١٩٨٦م، قام برسم هيئة العمامة العرف.

شكل (١٣)[٥] ومما يجب التنويه عنه أهمية الطوائف الحرفية أو المهنية لأغطية الرأس التى لعبت دورا مهما بين السلطات والرعية حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى؛ لذا كانت الحكومة عندما تجد نفسها عاجزة عن خلق جهاز جديد للقيام بوظيفة ما، فقد كانت تجد نفسها ملزمة باللجوء إلى نفس الوحدات التقليدية السياسية والإجتماعية والاقتصادية؛ لتكون بمثابة الصلة بينها وبين تلك الأعمال الإدارية التى كان يتعين عليهاالقيام بها، وهكذا واصل الشيوخ ممارسة وظائفهم في تبليغ أوامر

(١) Ibid ; p ٢٨ , pl ١٣

(٢) Revnakoğlu, Cemalettin server; tarikatlerin tarihine toplu Bir Bakiş, kadirilik, yeni tarih Dünyasi, ١٧ sep, ١٩٥٣, p١٧-١٩

(٣) Ibid; pl١٧-١٨-٢٠

(٤) Gölpınarl , Abdülbaki; Melamilik Ve Melamiler, p٤٣

(٥) İşli (H. Necdet) ; Op cit , p٣٨ , pl ٢٣

الحكومة إلى أعضاء طوائفهم؛ لذلك وجد الكثير من الأسواق والأماكن سواء في اسطنبول أو القاهرة المسماه بأسماء الطائفة التى تقطن فيها مثل بائعى الطواقى، بائعى القاووق، بائعى الدولامة وهكذا ...، وعندما يتجمع هؤلاء التجار معاً عادة فى الاسواق فقد كان لهم شيوخا، وقد تكون هذه الطوائف مجرد تجمعات إدارية.

وكان رئيس الهيئة وهو عادة أعلى التجار يسمى في اسطنبول كخيا وفى القاهرة يعرف باسم الشهبندر، يباشر سلطانه على التجار وأرباب الحرف المختلفة لأغطية الرأس[١]، كما ظهر تماسكا ملحوظا اتصفت به هذه الطوائف، وبذلك قد حافظت على مستوى حرفة أغطية الرأس وأوقفت المنافسة وخدمت أغراض مجتمع يقوم على تأمين أفراده وأقامت العلاقات بينهم؛ لذا كانت الطوائف حرة نسبيا وتتمتع بحكم ذاتى، وهذا أدى إلى تميز هذه الحرفة أو الصناعة فى العصر العثمانى برغم من تأثرها بالظروف الإقتصادية العامة وبالإجراءات المحلية[٢].

وقد كانت هناك علاقة غاية في القوة ما بين هؤلاء الحرفيين لأغطية الرأس وبين العلماء والنظم الصوفية؛ لذا كانت لهذه النقابة صلة وثيقة بالعلماء وبالنظم الصوفية، ويقال أن بعض النقابات مارست حرفتها داخل حرم مسجد وكانت الاجازة التى تمنح للصبى تصاغ فى قالب دينى[٣]، وهذا ما سوف توضحه الدراسة.

وقد أدى هذا النظام إلى دقة صناعة أغطية الرأس والإرتقاء بها، بالإضافة إلى أنها كانت توفر الوسيلة، التى تمكن أقل المواطنين شأنا من التعبير عن غرائزه الإجتماعية والإطمئنان إلى مكانته فى النظام الإجتماعى، ومما كان ينمى الوظيفة الإجتماعية لهذه الطوائف (حرفة) أغطية الرأس مالها من إرتباطات مع إحدى الطرق الدينية الكبرى،

---

(١) صلاح هريدى: الحرف والصناعات فى عصر محمد على ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٦-١٧

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٥

(٣) سيد محمد عبد العال : الحياه الدينية فى عصر محمد على ١٨٠٥-١٨٤٨م ، رسلة دكتوراه ، جامعة اسيوط ، كلية الآداب بقنا ، ١٩٩٢ ، ص ص٢٢٣-٢٢٤

- صلاح هريدى : المرجع السابق ، ص٢٩

وكان لهذا الإرتباط أثره في الأمانة والإخلاص والواجب؛ مما أدى بطبيعة الحال إلى تقدم هذه الحرف[١] المتنوعة ما بين حرفة (طائفة)الصارق أو الصارقجن Sarikçiyan، وحرفة (طائفة) القاووق أو القاووقجن Kuvukcuyan ، وحرفة (طائفة) الـشيخSeyh-í Araser ،وحرفة (طائفة) خياطة الدولامة أو الدولاماچين Hayyâtin-í Dolamaciyan

ولكن للأسف انهارت هذه الحرف أو الطوائف فى استانبول ومصر، والتى كان ولاء الفرد فيها موجه نحو الطائفة أو المجتمع الصغير الذى ينتمى إليه، وأصبح ولاء الفرد نحو الدولة من خلال توحيد هيئات أغطية الرأس فاعتمرت كل فئات المجتمع العثمانى الطربوش، وبالتالى تحولت الإمبرطورية العثمانية فى اسطنبول ومصر إلى أمة ذات قومية متكاملة، ومما ساعد على ذلك وسائل الإتصالات المتقدمة بين هذه المجتمعات، كما انشأ محمد على باشا وإلى مصر مصنعاً مخصصاً لصناعة الطرابيش، مما أدى إلى إفساح نظام الطائفة الطريق لنظام المصنع؛ لذا فقد فقد نظام الطائفة نفوذه، وفقد ما بقى منها من نفوذ قديم، وفى عهد محمد سعيد باشا

(١٢٣٧-١٢٧٩ه/ ١٨٢٢-١٨٦٣م) ألغى حق الشيخ فى فرض الغرامات على أعضاء الطائفة، كما تم إلغاء ما بقى من الطوائف عام١٣٠٠ه-١٨٨٢م[٢]

التى كان يبدأ السلم الوظيفى في قاعدة الحرفة بالصبى وينتهى في القمة بالشيخ الرئيس، وفى الوسط الأسطوات أو المعلمين والعمال وكانت لكل طائفة تتكون في هيكلها من ستة عناصر هم:

الصبى، العريف، والمعلم، والأسطى، والنقيب، والشيخ[٣]، وهذا ما سوف تبرزه الدراسة فيما سيأتي.

---

(١)المرجع نفسه : ص ص ٣٨-٣٩

(٢) صلاح هريدي: المرجع السابق، ص ٣٤

(٣) نبيل السيد الطوخى : طوائف الحـرف فى مدينـة القـاهرة فى النصـف الثـانى مـن القـرن التاسـع عشر- ١٨٤١-١٨٩٠م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٩